أضواء على ماهية

معركة ذات الصوارى

ودورها في تطور خطة الحرب العربية

بينما كانت جيوش الفتح الإسلامية سائرة في طريقها بسرعة لإخضاع الأقاليم الشرقية فإننا نجد بأن موجة الفتح هذه قد هدأت في سورية ، بعد أن استتب بها الأمر فأصبحت نقطة ارتكاز وبمدنها الثغرية هدّدت سيطرة الروم في آسيا الصغرى .

فبعد موت الامبراطور هرقل لم تكن الروح المعنوية في الامبراطورية تشجع أية بادرة تهدف إلى استئناف الصراع مع العرب ، ورغم ذلك فقد بذلت عدة محاولات فاشلة على الساحل السوري ، ولم تتلُها بعد ذلك أية مبادرة أخرى . وفي هذا الوقت كان معاوية بن أبي سفيان منهمكاً في تنظيم الجهاز الإداري في سورية ، عاملاً في الوقت نفسه على تقوية وضعه في سورية تمهيداً للظروف الآتية هذا بينما ساد السلام في الجبهة الجنوبية إذ أن عمرو بن العاص قد تمكن من إخضاع مصر لإدارته القوية .

وبالرغم من أن الدولة البيزنطية قد فقدت مُعظم أقاليمها المهمة ، فان ذلك لم يعن بأنها سلمت بالأمر الواقع ، فقد قامت عدة محاولات لإخراج العرب من تلك الجهات ولكنها لم تكن ذات أثر عميق على مجرى الحياة في البلاد . فالروم وبعض السكان الذين تَخَوّفوا من الحكم الإسلامي ، تواطؤوا مع البلاط البيزنطي وبنتيجة ذلك جهز اسطول من (٣٠٠) سفينة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بقيادة مانويل والذي استطاع في ٦٤٦ م (٥ هـ) استرداد الاسكندرية بدون أي مقاومة تذكر ، وطرد منها الحامية العربية (١) . غير ان نتيجة هذا النصر كان مؤقتاً ، وتمكن العرب من طردهم من المدينة . ومما لا شك فيه أن المصريين لم يسهموا في هذه الأحداث ومساندة الروم ، إذ أنهم لم يرغبوا في الدخول في محاولات جديدة تجرهم للدمار ولا سيما وهم تمتعوا بحريات دينية وشخصية لم تكن مكفولة لهم من قبل .

لذلك اتجهت المحاولات التالية إلى الشرق ، وبصفة خاصة لمناطق الحدود بين الامبراطورية والدولة العربية الناشئة .. وكانت هذه المناطق ثغوراً ومدناً واقفة على الحدود ، وهي دائماً كانت معرضة لرحمة الأقدار ، هذا إلى جانب دور العرب في أرمينية وتشجيعهم لأهل البلاد على التمرد والثورة على الروم .

وقد لعب معاوية دوراً بارزاً في هذه المراحل الأولى للاصطدامات . إذ أنه سرعان ما أصبح مسؤولاً عن كل سورية بعد موت أخيه يزيد ، وصار الحاكم المطلق اليد خلال حكم الخليفة عثمان بسبب رابطة الدم والقرابة (٢) .

وبنتيجة السياسة الجديدة للامبراطور قنسطانس الثاني (Constans II) فقد توقع العرب بعض الاصطدامات القليلة الأهمية على الحدود ، ولهذا تمتعت سورية إلى وقت ما ببعض الراحة والسلامة . غير أنه في عام ٦٤٧ أي العام الثاني لتولي عثمان الخلافة نجد بأن معاوية قد أفزعته تحركات بعض التجمعات الرومية في آسيا الصغرى ، والتي لم يستطع أن يقف في سبيلها ، لذلك سرعان ما طلب المدد من الولايات الشرقية فانضم إلى جنده ٨٠٠٠ متطوع وقوي بذلك مركز الجند الشامي ، واستطاع إبطال أثر التحرك الرومي (٣) .

---

(١) الطبري جزء ٥ ص ٤٧ .
(٢) البلاذري ـ فتوح .. ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(٣) الطبري . جزء ٥ ص ٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد شجع هذا النجاح العرب فداهموا آسيا الصغرى ، مجتازين بأرمينية حتى وصلوا إلى طبرستان ، وبذلك أمّنوا سلامة همزة الوصل بينهم وبين إخوانهم الذين يحاربون في منطقة بحر الخزر (١) .

ومنذ تلك اللحظة استحكمت العداوة بين العرب والروم وتجدد التصادم بينهما في كل صيف ، وخرج العرب من الغزوات الصائفة . . وآزر العرب في ذلك الأسطول الإفريقي الذي تجمع في الموانئ الإفريقية ، واندفع القادة في سورية في طريقهم لتوسيع مدى غزواتهم في آسيا الصغرى ، ومنطقة شرقي البحـــر المتوسط معززين بذلك تخومهم بالثغور ، ورادئين الموانى والثغور الساحلية .

ومما لا شك فيه أن تلك الخطوط الجديدة في السياسة الحربية التي اتبعها العرب بركوب البحر في غزواتهم ، والتي لم تكن تلقى الأذن الصاغية من الخليفة عمر ، حازت على رضاء الخليفة الجديد عثمان الذي وافق على محاولات معاوية المتكررة في تكوين الأسطول العربي . وقد وافق عثمان أخيراً على شرط أن تكون خدمة البحرية غير إجبارية . وكان أول أمير عربي للبحر هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح حاكم مصر ومتولي جبايتها من قبل (٢) .

وكانت أولى بشائر هذا الأسطول أن توجه إلى قبرص في عام ٦٤٩ (٢٨ هـ) بقيادة أبي قيس (٣) . وقد جهز أسطول الفتح هذا بـ (٧٠٠)

---

(١) الطبري . جزء ٥ ص ٤٥ .

(٢) بصدد انشاء الأسطول راجع مقدمة ابن خلدون ص ١٥٠ والطبري جزء ٥ ص ٥٢ ، ٥٣ ، وابن الأثير جزء ٢ ص ٢٦٤ .

(٣) ابن العبري : تاريخ الأمم طبعة بيروت ص ١٠٤ . الطبري جزء ٥ ص ٥١ و Constantine Porphyrogenitus : De administrendo Imperio بودابست ١٩٤٩ ص ٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سفينة (١) بعد أن انضم إليه ابن أبي سرح ببعض السفن المصرية التي جهزت بملاحين مصريين إلى جانب محاربي الحامية العربية بالاسكندرية (٢) . وقد سقطت قبرص بدون أي مقاومة تذكر . وجمع كثير من الأسرى والرهائن من الجزيرة ومن كافة أنحائها . وقد وافق القبارصة على دفع نفس الضرائب التي كانوا يدفعونها من قبل للروم . ولكن الخليفة أعفاهم من دفع الجزية لأنها حماية للرأس وهذا ما لم يستطع العرب القيام به في ذلك الوقت (٣) .

وبهذه العملية سقطت أولى القواعد البحرية الرومية في أيدي العرب الذين أصبحوا على مقربة من السواحل الرومية (٤) .

وبينما كان معاوية مشغولاً في حملة قبرص تجمعت لديه المعلومات بأن هناك تحركات رومية موجهة نحو سواحل الشام ، وذلك رداً على حملة قبرص ولاتخاذ مواقع للمراقبة على الساحل الشامي (٥) .. لذلك أسرع معاوية في أواخر عام (٢٨ هـ) بالسير نحو جزيرة « أرادوس (أرواد) Aradus » الواقعة أمام الساحل الشامي للاستيلاء عليها حتى لا تكون قاعدة صالحة يستعملها الروم ضد سورية . وقد وطّد العزم على تدمير تلك القاعدة الخطيرة ذات الأهمية

---

(١) أغابيوس « محبوب » : كتاب العنوان نشره فاسيليف ص ٢٢٠ ذكر بأن عدد السفن ١٧٠٠ ولكن Constantine VII أورد في ص ٨٩ بأن السفن هي ١٢٠٠ ولكن فاسيليف ناشر « العنوان » رجح أن العدد ٧٠٠ .

(٢) رواية الواقدي في الطبري هي : « غزا معاوية في عام ٢٨ هـ قبرص وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان على الناس » ج ٥ ص ٥٣ .

راجع لذلك Becher : Cambridge Mediuale History Vol II P. 352

و Muir. W. The Calphato P. 205 .

(٣) أغابيوس ص ٢٢٠ والطبري ج ٥ ص ٥٣ .

(٤) فاسيليف : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ج ١ ص ٢٨٢ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب . لندن ١٩٥٩ ص ٧٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاستراتيجية حتى لا يستفيد منها الروم . وقد وكل إلى الأسقف توما بابلاغ أوامره إلى سكان المدينة باخلاء الحصن وهجر الجزيرة والانصراف إلى الروم ... غير ان السكان القوا القبض على الأسقف واعتصموا بالمدينة ، فاضطر معاوية لإرجاء الحملة إلى حين انقضاء فصل الشتاء الذي كان على الأبواب (١) . وعاد إلى دمشق (٢) .

وفي الربيع التالي عاد اليها معاوية ومعه حامية قوية ، وحاصر الجزيرة بعد وصوله وشدد عليها الحصار فاضطر أهلهـــا إلى طلب الأمان بشرط أن يسمح لهم في السكن في سورية فوافق معاوية على ذلك ثم هدم المدينة وحطم أسوارها وأحرقها (٣) .

وانتبه معاوية إلى أهمية جزيرة رودس لذلك غزاها في عام (٦٥١ م) واستولى عليها وأصبحت الجزيرة قاعدة للمراقبة وثغراً (٤) . وقد روت المصادر الرومية بأنه حطم تمثال رودس المشهور اثناء الحصار . وهذه رواية ضعيفة(٥) .

وبسقوط قبرص ورودس وتقوية السواحل والثغور الشامية أصبح الأمر مستتباً في يد معاوية ، وبذلك زال خطر الغزو الرومي غير المتوقع ، هذا بينما توصل إلى تهديد السواحل الجنوبية لا سيما الصغرى والتي أصبحت في

---

(١) أغابيوس ص ٢٢٠ .
(٢) أغابيوس ص ٢٢٠ .
(٣) أغابيوس ص ٢٢٠ و Constantine VII ص ٨٥ .
(٤) أغابيوس ص ٢٢٠ و ص ٢٠٠ Halphen L. Les Barbars des grand Invision aur Conquest Turque du XI siecle, Paris 1930
(٥) ابن العبري ص ١١١ . اغابيوس ص ٢٢٠ ـ نقل رواية ثيوفانس Theophanes في كتابه طبعة دي بور ص ٣٤٥ وهي مذكورة كذلك ص Constantine VII . وهذه الرواية الأخيرة تتفق مع الطبري (ج ٥ ص ٧٧) حتى ان معاوية غزا مضيق القسطنطينية في عام ٣٢ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

متناول البحرية العربيـــة التي أصبحت منذئذٍ تهدد سلامة الملاحة الرومية وتهدد هذه المناطق بالغزو .

وقد استغل معاوية كراهية أهل أرمينية للامبراطورية ، وأسهم بدور كبير في الثورة التي قامت في أرمينية أثنـــاء سقوط رودس (٦٥١) منه قنسطانس والتي قادها البطريق بسجناطس Pasagnatha (١) وقد تم الاتصال بين المتمرد وبين معاوية الذي وجه إليه جيشاً وأخضع الحامية الرومية بها ، وذلك أثناء تحرك قنسطانس لإسعاف حامياته هناك ، غير أنه رجع عن محاولته وقد يكون ذلك لفقده الأمل في اخضاعها (٢) .

وتذكر إحدى المصادر الموثوق بها بأن قنسطانس الثامن أرسل إلى معاوية بعد فتح قبرص وتحطيم جزيرة أرادوس وفداً طالباً منه عقد معاهدة للصلح وهذه الرواية لا تتفق مع المنطق . إذ أنه من المتوقع أن تكون محاولة قنسطانس هذه ، بعد احتلال العرب لجزيرة رودس وبعد التمرد الذي قام ضـده في أرمينية ، وليس قبل ذلك .. إذ أن سقوط قبرص وأرادوس لا تشكل خطراً كبيراً على الدولة مثل سقوط رودس ذات الأهمية الاستراتيجية والتي تهدد بسقوطها سلامة عاصمته . ومن المتوقع كذلك أن يطلب عقد مثل هذه المعاهدة عند ما بدأ العرب في التدخل الفعلي في أمور أرمينية وليس قبل ذلك . وقد أورد أغابيوس تفاصيل هذه المحاولة وكيف أن قنسطانس أوفد رسولاً إلى معاوية يسأله الصلح وكان بدمشق وكان الرسول هو منويل الذي قام

---

(١) ثيوفانس ص ٢٢٤ ـ واغابيوس ص ٢٢٢ .

(٢) أغابيوس ص ٢٢٢ ، وقد ذكر الطبري (ج ٥ ص ٥٤) رواية بأن حبيب بن مسلمة غزا سورية الروم SYRIAE PORTAE وقال بأن هذه الغزوة كانت عام ٢٨ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من قبل يغزو الاسكندرية عام (٦٤٥) غير أن معاوية فرض شروطاً قاسية لم يقبلها الروم (١) .

وبسقوط جزر شرقي البحر المتوسط في أيدي العرب ، أصبحت مناطق كاريا وليقية وقليقية (Caria, Cilicia, Lycia) قريبة المنال وأصبحت مهددة بخطر الغزو العربي وعزلها عن بقية آسيا الصغرى ، وذلك لاستحالة وصول الإمدادات الحربية إليها براً بسبب موقعها الجغرافي الذي يجعل خطط الدفاع عنها منصبة بالدرجة الأولى على البحر فقط .

ومنذ عام (٦٥٤) بدأ معاوية بعد سيادته على مناطق ارتكاز وقواعد بحرية متاخمة للساحل الرومي ، بدأ في الاستعداد لغزوة كبرى ضد الامبراطورية، وقد شجعه على ذلك السهولة التي حاز بها على انتصاراته السابقة وعلى نجاح حملاته المستمرة على الثغور الرومية الأمامية .

لذلك أخذ في إعداد وتجهيز أسطول كبير يساعده في تنفيذ غرضه (٢) هذا وجعل مركزه مدينة طرابلس الشام وأخذ في تجهيزه بالسلاح والعتاد ، غير انه قام تمرد ضد قيادة الأسطول العربي . قام به أخوان من البحارة المسيحيين الذين كانوا يعملون في خدمة الأسطول والترسانة البحرية ، وهما ابنا بقنطر « Baqantar » (٣) ويظهر بأن السبب في هذا التمرد يرجع إلى أعمال الضغط والسخرة التي استعملها معاوية أثناء تجهيزه للأسطول . وتمكن المتمردون بمساعدة بعض الأسرى الروم في سجن حصن طرابلس من إطلاق

---

(١) أغابيوس ص ٢٢٢ نقل رواية ثيوفانس ص ٣٤٤ .

(٢) أغابيوس ٢٢٣ .

(٣) أغابيوس ٢٢٣ نقلاً عن ثيوفانس ص ٣٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سراح بقية الأسرى ، وقتلوا عامل المدينة وأتلفوا بعض السفن ثم ركبوا البحر ولحقوا بالروم (١) .

ويظهر بأن هذا التمرد دفع معاوية إلى الإسراع بتنفيذ خطته والقيام بغزوته . وهنا يظهر نبوغ معاوية الحربي الذي أثبت بأنه يملك عقلية ذات مستوى حربي عال ، إلى جانب تمرّسه في مسائل الاستراتيجية العسكرية الذي يضعه في مصاف كبار القادة العسكريين . وكانت نتائج هذه الغزوة روايات مشتتة لما يسمى بذات الصواري . تلك الموقعة التي أخطأ الكثير من المؤرخين في تقييمها ووضعها في مكانها الصحيح . وقد تم الخلط في هـــذه الرواية منذ الأيام الأولى للتاريخ الإسلامي ... إذ أن الرواة قد خلطوا بينها وبين تدمير الأسطول الرومي المنسحب من ذات الصواري قرب الاسكندرية ، وأطلقوا عليها مصطلحاً جديداً وهو موقعة الاسكندرية .

وقد وضع معاوية خطته الحربيـــة التي تعتمد على شقين للوصول إلى القسطنطينية ... وهذا ما لم تأت به المراجع الحديثة ... فقد هدف معاوية إلى استخدام البحر والبر للوصول إلى هدفه ... واستخدام الجيش البري يهدف إلى خديعة الروم وجذبهم بعيداً عن العاصمة ... وفي نفس الوقت يقطع خط الهجوم المعاكس الرومي في حالة ما إذا فكروا في الاغارة على الشام وقت انشغال الجيش العربي بغزوته . هذا إلى عزل الجيش الرومي عن العاصمة بعملية إنزال جيوش عربية خلف ظهر الروم القادمين لملاقاة الجيش البري العربي وذلك في منطقة ليقية Lycia (٢) .

---

(١) أغابيوس ٢٢٣ . وابن عبد الحكم ص ١٨٩ .

(٢) أغابيوس ٢٢٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لذلك توجه جيش بري صوب ملطية (Malatia) فوطأ أرض الروم وافتتح في طريقه المدن الصغرى ووصل إلى حصن المرّه بباب ملطية وسبى من أهلها حسب بعض الروايات مائة ألف نفس (١) ، وكان الهدف من هذه التجريدة قطع الطريق على نواحي بيزنطة (٢) .

وفي نفس الوقت تحرك الأسطول العربي في عام (٣٤ هـ) (٦٥٥ م) في يونيو أو يوليو (٦٥٥) إذ أن عام (٣٤ هـ) يبدأ في (٢٧) يوليو (٦٥٤) ولهذا التاريخ أهمية تتعلق بمركز التجمع في رودس إذ أنها تقع في منتصف الطريق إلى القسطنطينية . وقام عبد الله بن سعد بن أبي سرح (٣) بانزال نصف قواته على ساحل ليقية Lycia بقيادة بُسر بن أبي أرطاة ، وذلك حتى يقطع الطريق على قوات الروم في آسيا الصغرى في حالة انسحابها نحو العاصمة للدفاع عنها (٤) . تلك القوات التي خدعتها التجريدة العربية المتوجهة إلى ملطية . هذا وإن هذه القوات النازلة في ليقية سوف تستدرج بقية القوات المرابطة بالقرب من العاصمة ، وبذلك يضعف مركز العاصمة العسكري ويسهل الهجوم عليها .

فدخلت القوات العربيه ميناء فونيقية Pheonix الواقعة على ساحل ليقية (٥) وقامت بعمليات ذات طابع ارهابي شديد ونهبت حسب بعض الروايات أفسوس وازمير ووصلت إلى Halicarnassus وإلى بعض المدن الايونية (٦) .

---

(١) أغابيوس ص ٢٢٤ . والطبري ج ٥ ص ٨٥ ذكر رواية مقاربة لغزو معاوية لحصن المرّه التي جاءت في أغابيوس .
وقد ذكر ابن العبري ص ١٠٤ بأن أنقرة سقطت في يد العرب .

(٢) أغابيوس ص ٢٢٤ و Constantine VII ص ٨٠ ، ٨٩ .

(٣) أغابيوس ص ٢٢٤ ابن العبري ص ١٠٤ ـ ابن عبد الحكم ص ١٨٩ الطبري ج ٥ ص ٦٨ .. وأخيراً رواية ثيوفانس ص ٣٤٥ .

(٤) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ . والسيوطي في حسن المحاضرة ص ١٠٣ .

(٥) أغابيوس ص ٢٢٤ نقلاً عن ثيوفانس ص ٣٤٥ ، وميشيل السوري ج ٢ ص ٤٤٥ .

(٦) Constantine VII ص ٨٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

غير أن قنسطانس تنبه إلى خطورة الأمر وأحس بأن العاصمة قد أصبحت في خطر إذا ما هاجمها العرب عن طريق البحر (١) لذلك رأى أن يفاجيء الأسطول العربي القادم إليه فتوجه إلى ساحل ليقية ليلقى العرب هناك (٢).

ورغم التقاء الأسطول العربي بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع الأسطول الرومي بقيادة أخي الامبراطور ثيودوسيوس Theodosius (٣). ورغم أن قوى العرب الضاربة كانت منقسمة إلى قسمين برية وبحرية (٤)، إلا أن الغلبة كانت للعرب إذ سرعان ما التحمت المراكب وتلاصقت وأخذ القتال يتم بالنبل والنشاب وقد وصفه ابن عبد الحكم وصفاً دقيقاً. وما لبث الأسطول الرومي أن انهزم (٥) وفر قنسطانس هارباً إلى صقلية (٦)، غير ان الريح ألقت به قرب الاسكندرية ففرق معظم اسطوله وأخيراً وصل إلى صقلية في حالة يرثى لها (٧).

ولكن تلك الخطة العسكرية المنطقية قد أساء الكثير من مؤرخي الغرب فهمها إذ أنهم تجاهلوا القسم البري من حركة الغزو، ونقلوا الجزء الأخير البحري بعد أن قسموه إلى واقعتين (٨). وتجاهلوا الأساس المنطقي لهذه الخطة واستمسكوا بالروايات التي وصلت إليهم من مراجع عربية خالصة لذلك لم يكن مستغرباً أن يذكروا معركة ذات الصواري وما يسمى النصر

---

(١) أغابيوس ص ٢٢٤ .
(٢) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ وبروكلمان ص ٧٣ .
(٣) الطبري ج ٥ ص ٦٨، ٦٩ . ابن عبد الحكم ص ١٨٥ .
(٤) أغابيوس ص ٢٢٤ أورد نفس رواية ثيوفانس ص ٣٤٥ .
(٥) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ ، الطبري ج ٥ ص ٦٨ .
(٦) انظر ما تبله ٣٤، ٣٣ .
(٧) عبد الحكم ص ١٩٠ ـ السيوطي ص ٩٧ الطبري ص ٦٨ ، ٧٠ جزء ٥ .
(٨) موير ص ٢٠٦ وجيبون .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البحري بالاسكندرية كل منها على أساس منفصل عن الآخر .. والواقع فان ذات الصواري بدأت بعد التمهيد البري للجيوش في أواخر شهر ذي الحجة لعام (٣٤ هـ) الموافق لـ (٦٥٥ م) وشهر ذي الحجة يقع في شهري يونيو ويوليو (٦٥٥ م). بينما تحطم الأسطول الرومي في عاصفة قرب الاسكندرية في عام (٣٥ هـ) التي تبدأ في (١١) يوليو (٦٥٥) طبيعياً. إن هناك حدثاً واحداً ، الانهزام في ذات الصواري والتحطم قرب الاسكندرية وهو يستغرق عامين. فقد بدأ في نهاية (٣٤ هـ) وانتهى في أوائل (٣٥ هـ). وهذه الحقيقة التي تنبه لها مؤرخونا العرب جعلهم يفصلون شطري الحدث الواحد ويذكرونها من أحداث سنتي (٣٤ هـ) ، (٣٥ هـ) [١] ... ولكن الرواة المتأخرين زمنياً اختلط عليهم الأمر ووجـــدوا رواية لتحطم الأسطول الرومي قرب الاسكندرية ... لذلك حاولوا تقليد ذلك بأنه ، أي الأسطول الرومي كان موجهاً لغزو الاسكندرية ، وبسبب الإسناد الواحد للرواية الواحدة التي شطرت .. نجدهم يخلطون أحداث الشق الأول بالشق الثاني وينسبونه للغزوة الاسكندرية . والسبب في ذلك هو أن التصنيف التاريخي كان حولياً ولم يكن موضوعياً [٢] .

وليس من المعقول أن يكون قنسطانس الذى هزم هزيمة نكراء في ذات الصواري في صيف (٦٥٥ م) قد حاول أن يهاجم ويسترد الاسكندرية بعد هذه الكارثة مباشرة . غير أن السبب الذي دفع هؤلاء المؤرخين الغربيين أمثال موير وغيره من مؤرخي الغرب المعاصرين هو اعتمادهم بدون تفكير أو تفهم لروح النصوص على نصٍ مثل نص ابن عبد الحكم الذي نقل من

(١) السيوطي وابن عبد الحكم ، الطبري ٦٨ ، ١٦١ جزء ٥ .

(٢) لقد قدم لنا الطبري في ج ٥ ص ١٦١ أوضح رواية عن الأحداث فقد ذكر في حوادث عام ٣٥ هـ ما يفيد ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تاريخ حولي إلى تاريخ خاص بموضوع هو فتح مصر الذي كان موسوعياً . فوقعوا في الخطأ بينما ابن عبد الحكم وغيره عند ذكره لهذه الرواية إنما حاول تعليل تحطم الأسطول قرب الاسكندرية ، فلذلك ذكر موقعة ذات الصواري هذا بالرغم من اعترافه اعترافاً صحيحاً بأن الأسطول قد تحطم بدون أي هجوم على الاسكندرية ، أو اشتباك مع حامية الاسكندرية . ومن البديهي أن ذكر ذات الصواري كان لتعليل هذه الكارثة بقرب الاسكندرية (١) .

ولكن تسلسل الأحداث في مختلف الروايات يبين بجلاء وضوح الأمر ، وأن الأسطول تحطم بسبب الريح العاصف عقب فراره من ذات الصواري (٢) .

أما سبب عدم الاستمرار حتى تنفيذ خطة الغزو والتوجه للقسطنطينية رغم الانتصار في ذات الصواري ، فان المراجع تقف عاجزة عن تقديم أي بارقة من الإيضاح ... ولكن عسى الأيام تقدم لنا وثائق تشرح هذا الصمت ، ولكن قد يكون السبب المباشر لذلك هو الوضع الداخلي المتأزم في الخلافة وخروج الأقاليم على عثمان بن عفان بسبب سياسته الداخلية ..

وبطبيعة الحال فان معاوية ما كان يترك جيوشه بعيدة عن مسرح الأحداث وهو رجل ذو أطماع وآمال عراض .

وإجمالاً فقد أثبتت أحداث ذات الصواري بأن العرب قد وصلوا خلال أعوام قليلة إلى مستوى عال من المعارف العسكرية .

(بودابست)

عبد المنعم مختار
المحاضر في جامعة بودابست
Dr. Mukatar Abel

(١) موير ص ٢٠٦ رجع في روايته إلى ابن الأثير وقسم الغزوة وحدد لذات الصواري عام ٣١ هـ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٩٠ ـ السيوطي ص ٩٧ الطبري ج ٥ ص ١٦١ بروكلمان في ص ٧٣ و Constantine VII ص ٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net